الفصل التاسع

مناهج النقد الأدبي

(١) المنهج الفني :

هذا المنهج هو أخص مناهج النقد الأدبي وأولاها بمن يريد فهمَ طبيعةِ الأدب وبيانَ عناصره وأسبابَ جودتِه وقوته .

فالناقد في المنهج الفني يواجه العمل الأدبي بالقواعد والأصول الفنية ، ويتصل به اتصالاً مباشراً لمعرفة خصائصه الفنية وقيمتهِ الذاتيـــة بصرف النظر عن صاحبه وعصره .

فهو ينظر أولاً في نوع العمل الأدبي أيًّا كان : قصيدةً أو قصة أو رسالة أو مقالة أو ترجمة حياة إلى غير ذلك من أنواع الأدب ، ثم يسأل نفسه : ما قيمة هذا أو ذاك باعتباره عملاً أدبياً ؟ وما سرُّ قوته وجماله ؟ وما الذي خلع عليه صفة البقاء والدوام ؟

ثم هو ينظر ثانياً في قِيَمه الشعورية والتعبيرية ومدى انطباقِها على الأصول الفنية لنوع الأدب الذي ينتمي إليها عملُه . وقد يحاول الناقد تلخيص خصائص الأديب الفنية ، أي التعبيرية والشعورية من خلال آثاره وأعماله الأدبية .

والواقع أن هناك من الأعمال الأدبية ما يَثبت أمام التاريخ والنقد الأدبي ، ويُجيب عن مثل الأسئلة السابقة ، دون حاجة للرجوع إلى بيئة الأديب أو سيرته . والسببُ في ذلك أن الأعمال الخالدة تلبسع من القَدْرِ الإنساني المشترك ، أو أنها تقوم على عناصر عامة لا ترتبط بزمان أو مكان أو قائل معين.

ومن هذا القبيل في الأدب العربي كثير من آراء المعريّ وحِكَم المتنبي التي تعبّر عن طبائع الإنسان وغرائزه الخالدة والتي هي قَدْر مشترك بين النفوس الإنسانية جمعاء في كل زمان ومكان .

واتّباعُ المنهج الفني يتطلب في الناقد خصائص معينة ، كما يتطلب ألواناً من الدراسات الفنية واللغوية . وبيان ذلك أن هذا المنهج يقوم أولاً على التأثر ، ولن يكون هذا التأثر مأمونَ العاقبة الاّ إذا سبقه ذوق فني سليم ، يعتمد على الموهبة الفنية الفطرية ، وعلى التجارب الشعورية الذاتية ، وعلى الإحاطة الواسعة بالمأثور من الأدب والنقد .

كذلك يقوم المنهج الفني على القواعد الفنية الموضوعية التي تتمثل في القِيَم الشعورية والتعبيرية . وهذه تتطلب من الناقد الاّ يضيقَ نفْساً بتجارب الآخرين الشعورية ، إذا لم تكن من جنس تجاربه الشعورية ، وإنما عليه أن يتقبّلَها ويتفحّصها ، ما دام الناسُ لا يمرون في تجارب شعورية واحدة .

ولا بُدّ له أيضاً من خبرة لغوية وفنية ، ومن قدرة خاصة على التطبيق ، تطبيقِ النصوص على القواعد النظرية ، فكثيرون يعرفون القواعد الفنية المقررة ثم يخطئهم التوفيقُ في تطبيقها على النصوص .

وقبل هذا وبعد هذا لا بد من المرونة على تقبل الأنماط الجديدة غيرِ المسبوقة ، والتي قد تؤدي إلى تعديلٍ في قواعد النقد الفنية المقررة أو الإضافة إليها .

ولعل هذه المرونةَ هي ما كانت تنقص كثيرين من نقّاد العرب القدامى